الكنيسة الانجيلية بقصر الدوبارة

سلطان الله ومسئولية الانسان

الحلقة الثالثة

درسنا في الحلقات الماضية أن الله كلي القدرة والسلطان، وأن الله الخالق وضع مجموعة من القوانين لحكم الخليقة؛ فوضع القوانين المادية لحكم العالم المادي والقوانين البيولوجية لحكم الكائنات الحية والقوانين الأدبية لحكم الكائن الأدبي. وعرفنا أن محتوى هذا القانون هو محبة الله من كل القلب والنفس والقدرة ومحبة القريب كالنفس، أيضاً عرفنا ما يميز القانون الأدبي: قانون ينفذ نفسه بنفسه أي أنه ليس في إحتياج أن ينفذه أحد، فالموت هو نتيجة وليس عقاب. سوف نستكمل في هذه الحلقة دراسة القانون الأدبي

- **الحرية التي أعطيت لنا في هذا القانون هي حرية أدبية**

هذه الحرية الادبية تختص بالعلاقات بين البشر وليست مادية.. لذلك فالإنسان غير مسئول عن شكله وذكائه وجنسيته ومواهبه وإمكانياته...الخ. وفي هذا لا نستطيع أن نتهم الله بأنه غير عادل لأن الله يعطي القيمة الأعلى للأمور الأدبية وليست المادية، فسعادة الإنسان الحقيقية ليست في العالم المادي من شكل وجنسية ووظيفة بل سعادته الأصيلة هي في علاقته مع خالقه ومع إخوته في الإنسانية ومع نفسه البشرية، فنحن لنا حرية الاختيار في الأمور الأدبية التي تتحكم في سعادتنا الإنسانية وأبديتنا الزمنية وليس لنا حرية في الكثير من الأمور المادية التي ليس لها تأثيرعلى سعادتنا، فمثلاً إذا كنا سعداء مع شريك حياتنا وفي علاقتنا مع أولادنا وأصدقاءنا ولا نملك القدر الكافي من المال للمعيشة الرغدة فهذا لن يحيل سعادتنا إلى جحيم وعلى العكس إذا كنا نملك المال ولكن لا نستطيع أن نعيش سعداء مع أزواجنا وزوجاتنا ومع أولادنا وأصدقائنا فلن يستطيع المال أن يشتري سعادتنا، بل الله في عنايته ورعايته يوفر لكل واحد منا القدر الكافي من الاحتياج الأساسي وهذا ما يخبرنا عنه الكتاب المقدس:

"الأَشْبَالُ احْتَاجَتْ وَجَاعَتْ وَأَمَّا طَالِبُو الرَّبِّ فَلاَ يُعْوِزُهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ" .(مز ٣٤: ١٠)

"أَيْضاً كُنْتُ فَتىً وَقَدْ شِخْتُ وَلَمْ أَرَ صِدِّيقاً تُخُلِّيَ عَنْهُ وَلاَ ذُرِّيَّةً لَهُ تَلْتَمِسُ خُبْزاً ".(مز ٣٧: ٢٥)

➢ الحرية الأدبية التي لنا هي حرية محدودة فهي نسبية وليست مطلقة

وذلك لأن الإنسان مخلوق وهو كائن محدود وبالتالي فالحرية المعطاة له من قبل الله هي حرية محدودة ولايمكن أن يُعطى حرية غير محدودة وذلك لأن عليه مسئولية محدودة وبالتالي فسلطانه محدود، فمن الممكن أن نتصور إنسان مثل هتلر بما له من طموح أن يسود ويتحكم في العالم وقد أُعطي له سلطان غير محدود على كل إنسان لكي ينفذ ويحقق أهوائه المريضة، أيضاً إنسان شرير الدوافع وسيئ السلوك وقد أُعطي سلطة هائلة على العالم الذي نحيا فيه فبكل تأكيد سوف يدمر العالم ويحطم الإنسانية ويعتدي على حرية الآخرين، لذلك أعطى الله للإنسان حرية أدبية محدودة حتى لا تصير الحرية الأدبية الغير محدودة هي نفسها إعتداء على حرية الآخر وتتحول العلاقات إلى فوضى لا يمكن حسابها أو السيطرة عليها وبالتالي أُعطي للانسان مسئولية محدودة على قدر حريته المحدودة وهذا ما أعلنه لنا الكتاب المقدس

"لاَ تَضِلُّوا! اللهُ لاَ يُشْمَخُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضاً". (غلا٦: ٧)

➢ أساس الحرية الأدبية هي المعرفة وحرية الاختيار

حتى يمكن أن يكون لنا هذه الحرية الأدبية يجب أولاً أن يكون عندنا قدر من المعرفة بناء عليها يكون لنا الحرية الأدبية في الاختيار، أيضاً العامل الأخر الذي يجب أن يتوافر حتى يكون لنا هذه الحرية الأدبية هو أن نكون قادرين على الاختيار من بين الاختيارات المختلفة أي نكون أصحاء من الناحية العقلية، فليس من المعقول أن نأتي بشخص غير عاقل وبالتالي ليس عنده القدرة على الاختيار ونطالبه بممارسة حريته الأدبية لأنه بالطبع لن يستطيع ذلك.

لأن الله هو واضع هذا القانون ويعرف ويدرك أهمية إستمرار بقاء إعلان هذا القانون واضح فهو يتدخل على كلا المحورين السابقين اللذين يتأسس عليهما هذا القانون وهما المعرفة وحرية الاختيار، فهو لايتدخل في تغيير القانون نفسه بل هو يتدخل للحفاظ على بقاء القانون واضح ومعلن، فعندما تقل درجة إعلان الحق والحقيقة التي هي أساس المعرفة فهو يتدخل لإبقاء المعرفة عالية ومعلنة، فالكثير من التدخلات الالهية في التاريخ

وفي حياتنا الشخصية هي بقصد الحفاظ على الحق والمعرفة معلنة وواضحة وهذا ما يعلنه الله لنا في الآية التالية:

"لأَنَّ غَضَبَ اللهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمِ الَّذِينَ يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالإِثْمِ. **إِذْ مَعْرِفَةُ اللهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ لأَنَّ اللهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ لأَنَّ مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ** تُرَى أُمُورُهُ غَيْرُ الْمَنْظُورَةِ وَقُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةُ وَلاَهُوتُهُ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ حَتَّى إِنَّهُمْ بِلاَ عُذْرٍ". (رو ١: ١٨- ٢٠)

هنا نجد الغضب والحزن الذي يملاء قلب الله على فجور وإثم وخطية البعيدين ويذكرهم بأنه هو بنفسه يحافظ على معرفته مُعلنة ومُدركة وواضحة للعالم كله منذ خلق العالم، فالأمور الغير المنظورة التي لايستطيع الإنسان أن يراها بسبب محدوديته قد أظهرها الله لنا، أيضا قدرته التي هي منذ الأزل وإلى الأبد وحتى طبيعته الإلهية وصفاته ظاهرة ومدركة بكل ما قد صنع وخلق من حولنا، لذلك فالإنسان لا يستطيع أن يدفع بالأعذار أمام الله لكي يبرر جهله وعدم معرفته فالله بنفسه يحافظ على معرفته معلنة أمام الجميع، يكفي فقط التطلع إلى الخليقة من حولنا لكي نتأكد ونؤمن بوجود الخالق العظيم من وراء هذا الكون.

كان الله يراقب ويلاحظ التاريخ، فعبر تاريخ العهد القديم نلاحظ أن الله كلما رأى أن نور معرفته قد خبا ووضوح رؤيته قد أضمحل يسارع بإرسال نبي من الأنبياء ويعطيه القوة لصنع آيات وعجائب ويرسله برسالة واضحة يكلم بها الشعب، وهذا لا ينطبق فقط على شعب إسرائيل (الذي كان هو شعب الله الذي اختاره ليعلن معرفته لكل الشعوب المحيطة) بل أيضاً على كل الأمم والشعوب في ذلك الوقت، وهذا ما نراه في نبؤات النبي إشعياء عن الكثير من الشعوب مثل مصر وأرام وأدوم وبلاد العرب وكوش ودمشق. كل هذا من أجل أن يظهر نور المعرفة مرة أخرى فيستعيد الإنسان حريته الأدبية لكي يختار بين الخير والشر.

كان في الخطة الالهية أن يكتب أُناس الله القديسين الكتاب المقدس وذلك لكي يحافظ الله على إعلان نفسه ثابتاً وواضحاً ومعلناً ومكتوباً، فالكتاب المقدس هو أحد التدخلات الإلهية ليُبقي معرفته معلنة وواضحة أمام الناس.

على مدار التاريخ في كل مرة كانت تقوم أمة أو مملكة لكي تطفئ نورإعلان الله وتحاول منعه من أن لا ينتشر وينير الإنسانية كان يتدخل الله بهدم هذه الأمة فيعود نور الإعلان مرة أخرى لينير كل إنسان ولكي تعود مرة أخرى حرية الاختيار لهذا الشعب ليقرروا لأنفسهم ويختاروا بين الحق والصواب وبين الكذب والضلال.

سمح الله بهذا التقدم التكنولوجي الحادث الآن في كل الكون، فأضحى العالم قرية صغيرة من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها فما يحدث في مكان ما في منطقة نائية على أطراف الكرة الارضية يُنقل في ثواني معدودة إلى الطرف الآخر من الكرة الأرضية بواسطة الأقمار الصناعية وشبكة تبادل المعلومات(الانترنت) فلا يستطيع أحد الآن أن يُخفي الحقيقة أويغلق الأبواب أمام الحق الالهي الذي أصبح في متناول كل إنسان إذا كان يريد معرفة الحقيقة

هكذا يتدخل الله دائماً لكي يحافظ على الحق الإلهي معلناً فيستطيع الإنسان أن يختار، وتظل حرية الإنسان في الاختيار متاحة للجميع.

- **الله يتعامل مع الإنسان كفرد داخل مجتمع يؤثر ويتأثر بالمجتمع سلباً وايجاباً**

خلق الله الإنسان في البداية فرداً واحداً متمثلاً في آدم، ثم قال الله لنصنع معيناً نظيراً لهذا الشخص فنخلق له رفيق فصارت حواء. وعندما وضع الله قانونه الأدبي لتنظيم العلاقات لم يضع هذا القانون لتنظيم العلاقة بينه وبين الإنسان فقط، بل وضعه أيضاً لتنظيم العلاقة بين الإنسان وأخيه الانسان، أي أن الله وضع هذا القانون لكي ينظم علاقته بخليقته وينظم علاقة الانسان بالمجتمع الذي يعيش فيه. عندما يتعامل الله معنا كأفراد فإنه يرانا ويتعامل معنا كأفراد وسط مجتمع نؤثر فيه سلباً وإيجاباً وأيضاً كأفراد يتأثرون بما في المجتمع سلباً وإيجاباً، فكل واحد منا يؤثر في أصدقائه وأولاده وشريك حياته سلباً وإيجاباً على كل المستويات سواء المادية أو النفسية أو الاجتماعية أو الاخلاقية، فإذا تعامل الآباء مع أولادهم بطريقة صحيحة لإشباع احتياجاتهم النفسية والروحية والاجتماعية فسوف ينمون أصحاء، والعكس صحيح إذا لم يحرص الآباء على تربية أولادهم تربية نفسية روحية إجتماعية سليمة فسوف ينمون وبهم العديد من المشاكل النفسية فلا يستطيعوا أن يكونوا في علاقة صحيحة مع أنفسهم أو حتى مع الغير. لكن هذا التأثير الحادث نتيجة وجودنا

في مجتمع رغم أنه يؤثر فينا (سلباً وإيجاباً) له حدود فهو لا يحرمنا من حريتنا الأدبية، فمثلاً نحن نتأثر سلباً نتيجة وجودنا في المجتمع على المستوى الروحي والأخلاقي وذلك عن طريق القدوة السيئة فننمو وفي أذهاننا نماذج خاطئة عن أشخاص عاشوا بمبادئ أخلاقية غير صحيحة فتبعناهم وشابهناهم وأكتشفنا بعد ذلك خطأ مبادئهم وفساد قدوتهم، أيضاً نستطيع نحن أن نؤثر إيجاباً عن طريق نفس المبدأ فنعيش قدوة صالحة في القول وفي الفعل أمام الناس فيرى الناس حياتنا ومبادئنا فيتأثروا ويعيشوا بمقتضاها فتتغير حياتهم. وعليه، في هذا المبدأ ينبغي علينا أن نقبل كلا البعدين فنحن نؤثر في المجتمع ونتأثر به سلباً وإيجاباً، فلا نستطيع أن نقبل جانباً منه ونرفض الأخر لأن كلاهما مرتبطين معاً، كما لا نستطيع أن نرفضهما لأن في حالة الرفض لن يكون هناك علاقات بين البشر وهذا مرفوض.

بالنسبة لنا نحن أولاد الله هذا خبر مفرح، لأنه كما أن العالم والشيطان يؤثران بطريقة سلبية على المجتمع فالكنيسة لها كل الحق أن تؤثرعلى المجتمع بطريقة إيجابية سواء بإعلان الحق الالهي أو بالقدوة الصالحة والتأثير المباشر على حياة الناس أو بالإقناع العقلي المنطقي وهذه هي أهمية الكرازة بالانجيل والشهادة عن الأخبار السارة التي لنا، فنحن وحدنا – المؤمنين بالرب يسوع المسيح – نملك الإجابة المنطقية المقنعة الوحيدة لكل شخص يبحث عن الإيمان الحقيقي.

واحدة من مفردات هذا القانون هو أنه عندما نطلب من الله أن يتدخل لزيادة مستوى معرفة الله وحرية اختيار الانسان فإن الله يستجيب لطلباتنا وهذا ما نسميه الصلاة التوسلية أو الشفاعية التي ترتبط في قانونها ارتباطاً وثيقاً بحكم الله الأدبي للخليقة، فكما يحاول المنتمين إلى الشيطان أن يستخدموا القوى الشيطانية بالسحر والأعمال والعرافة في تثبيت سلطان إبليس والتأثير على أولاد الله، فأولاد الله أيضاً في سلطانهم أن يطلبوا من الله التدخل لإعلان قوته وحبه لكل بشر فيؤثروا على العالم ويستأثروا كل فكر إلى طاعة المسيح. إذا لم ندرك أبعاد هذا القانون أننا نتأثر ومن حقنا أيضاً أن نؤثر فسوف ننسحب تاركين الساحة لإبليس وجنوده لكي يظلموا العالم ويضعوه في الشرير، ولكن إدراكنا لهذا القانون يجعلنا متنبهين إلى أهمية دورنا في طلب مجد وقوة الله وإعلان معرفته لكي ينير على كل إنسان، فالنور وبهائه دائماً ما يقوى على الظلمة وحلكتها وهذا يبرر مانراه في

التاريخ من نهضات روحية عظيمة أشعلت قلوب أمم وشعوب لأن الكنيسة طلبت وتضرعت إلى الله لكي يفتقدها وشعبها، وعلى النقيض تماماً فنرى أمم وشعوب لم تحدث في وسطهم أي نهضات روحية وذلك لأن الله لا يتدخل إن لم تطلب الكنيسة التدخلات الإلهية لإعلان مجد وحب الله للإنسان، وهذه هي مسئولية الإنسان التي أعطاها الله له.. فالله مع أنه هو واضع القانون لايستطيع أن يكسره. القانون يقرر أن الإنسان مسئول عن طلب مجد الله وإعلان معرفته، وإذا لم يتخذ الإنسان موقعه ويقوم بمسئوليته فلن يقوم بها أخر، ففهمنا لقانون الله لحكم الخليقة يجعلنا نعيش في طرق الله، وبدلاً من التذمر والتمرد على الأحداث والأشخاص نعيش شاكرين الله واثقين في عدالته وحكمته. أيضاً فهمنا لهذا المبدأ يجعلنا ندرك مدى مسئوليتنا لتغيير العالم وسلطاننا الذي به نعلن النور الحقيقي.